فاجـــنر

WAGNER

وتلخيص أوبرة « لوهنجرين »

أتاح لنا شاعر الفرنسية الموهوب ، المصري المثقف « خيري بك » فرصة ثمينة مرّت كما تمرُّ على المرء اسعد اوقات حياته، ساعة ان تحدَّث الى سامعيه وقارئي قدر أدبه عن موسيقي فاجنر في معهد الموسيقى الملكي. تحدث عن موسيقى هذا الفنان في نواحٍ متعددة تدل على انهُ جهد جهداً موفقاً في دراسة ادب فاجنر وفنهِ الموسيقي واوبراتهِ . وما ظنك بشاعر يصرف من زهرة عمره اكثر من عشرين ربيعاً يدرس فيها حياة هذا العبقري العظيم ... فانت اذا سمعتهُ وهو يتحدث عن فاجنر لا تنصرف عنهُ الاَّ وانت ثقة تامة تحت تأثير العاطفة والشعور الموسيقيين بأن هذا المصري طُبع بروح فاجنر نفسه فتحدث الينا عن موسيقاهُ وفنه وعن أدبه واوبراتهِ في ليلة من الليالي المعدودة في العمر

> « جميع ملحنات النغم دانت لارادته . فكان أميراً للالحان الصاخبة وقد انسلت من موج البحر بايقاعه العجيب . بها يأمر النسمات ان ترعدي او اخلدي الى السكون . كان يحس بالموسيقى الكامنة في كل من الجرانيت ، ويسمع كل همسة عن همسات القيم في الاشجار . بالحبة والبغض، بالفرح والحزن والنشوة ، كان يجسها في القلوب نارا او يجمدها جمداً . فاذا جاء يوم في المستقبل البعيد ، واستشرف الناس الماضي الغابر البعيد ، للبحث عن امارات الخلود فلوا : « انه كان نسيج وحده . ان سمفونياته الخيّة تتردد اليوم اصداؤها في دروب البيان فتدخل الطمأنينة على السكان في عنقود الثريا »
> ألبت عن فنهيم مينجرود !

ولد وهلم رتشرد فاجنر المؤلف الموسيقي العظيم في مدينة ليبزج عام ١٨١٣ ومات عام ١٨٨٣ رجلاً تمثلت فيه العصامية والاعتماد على النفس . درس الموسيقى في الملم وإصهاب هيثما له كرسي الاستاذية في مسرح فرزبرج حيث كان مشرفاً على الموسيقى وما يتصل بها . ولقد ذهب الى باريس عام (١٨٣٩) حيث قضى فترة من عمره الى سنة (١٨٤٢) ومن ثمَّ رحل الى درسدن حيث عين استاذاً ايضاً للموسيقى . ولقد حدث ان نفي من المانيا عقب ذلك للاحوال السياسية الخاصة بثورة (١٨٤٩) فنزح الى سويسرا وصرف فيها اثني عشر عاماً متنقلاً منها الى انكلترا وايطاليا وفرنسا . ولقد مضى من سنة (١٨٦١) الى سنة (١٨٦٤) فيما بين فينا وميز مجدداً في سبيل رزقه الى ان ظفر بترتب مستديم نفحهُ بهِ « لدفيج الثاني » ملك بافريا

وظل مقيماً في سويسرا الى عام ١٨٧٢ وبعدها نقل الى « بايرويت » Baireuth حيث امضى الشطر الاخير من حياته وقضى نحبه في مدينة البندقية في ١٣ فبراير سنة ١٨٨٣. ولقد تزوج فاجنر في حياته مرتين. الاولى من « ميابلاور » والثانية من « كوزما فون بيلو » ابنة الموسيقار ليست

***

اشتهر فاجنر «بأوبراته» الموسيقية فألف منها ما يُعَدُّ الى الآن في اوربا نوعاً فريداً من الانواع الحية الفتانة. « اوبرانه » فيها عبقرية موسيقية يقبل عليها عشاق فاجنر من الجمهور المستمع فضلاً عن أئمة الفن والنقد. يكفي ان يقال فيها انها موسيقى رجل نبت عصامياً وعاش لفنه وفي سبيله هائماً من بلد الى بلد كالطائر الطريد العدَّاح !! ومن سوء حظه ان استعدى عليه خصومه اصحاب القوة ففني من وطنه وظل مشرَّداً الى ان ضمهُ مليك بافريا فتمرَّد ايضاً على الحياة لانها عنده لاشيء .. ولان الجمال الروحي في عاطفته فطري يغذيه

تلك هي الشاعرية الطريدة التي تعيش لنفسها وتعمل للناس لتسمو بالحياة الى المعاني العالية الرفيعة .. تلك الشخصية الفذة العظيمة لا ترفعها الحياة بل تنازلها. تصارعها الشدائد فتخرج اصلب عوداً. وتعجمها الحوادث والمحن لتعود اكبر نفساً واقوى مراساً

استطاع فاجنر في حياته الفنية ان يهذب من فن الاوبرا فأودع فيها من التجديد ووسائله ومن السبك والوانه ما جعل لها قيمة جدية في عالم البقاء. فقد ضمن للاوبرا القوة التي نلمسها في القصة التمثيلية التي لا يستطيع الانسان هضمها واساغتها بغير الموسيقى. والروح الموسيقي الذي يكوّن الاوبرا في مذهب فاجنر وتدور عليه الحوادث نفسها مبعث القوة والنهوض فيستثير كوامن النفس ويلهب منها العواطف والاحاسيس. ويفسر فاجنر مذهبه الموسيقي باكساب الحركات والحوادث لباس الروح العاطفي الذي لا يستطيع الكاتب او الشاعر ان يبرزه في شيء من التأثير كما يوفق الى ذلك الموسيقي الملهم. الموسيقي الشاعر بفطرته. الموسيقي الروحي الذي تلهمهُ الانسانية المعذبة رسالة الألم وعبارة الرجاء ..

واشهر اوبرات فاجنر التي اعدَّت للتمثيل وشهدتها معظم مسارح اوربا هي « داي فين » سنة ١٨٣٣ و« داي ليبسقربرت » ولم يتمثلا حتى وفاته. ولقد مثل في حياته الاوبرات « طان هوسر » سنة ١٨٤٥ و« خاتمة النيلنجين » و« داي ريئنجولد » و« فلكيري » و « سيجفريد » و « غسق الآلهة » و « الهولندي الطائر » ولقد بدأ تأليفها حوالي عام ١٨٥٠ وراجعها كلها عام ١٨٦٩ واتمها سنة ١٨٧٥. وشهدت دار الاوبرا العظيمة في مدينة « بايروت » « خاتمة النيلنجين » واوبراته الاخيرة ومنها « لوهجرين » و « پارسيفال » التي تعد من اقوى ما ألفه فاجنر في الادب والموسيقى

واني اقدم هنا تلخيص «اوبرته » لوهجرين التي أحرزت نجاحاً كبيراً قلما يعدلهُ نجاح آخر والتي بهرت كبار رجال الفن واعجب بها كثير من النقاد

أوبرة « لوهجرين »

تعتبر لوهجرين من اقوى ابرات فاجنر التمثيلية . ويكفي ان يكون واضعها تمثيلاً وموسيقى فاجنر فقد لا يوجد صبي في المانيا لا يعرف اغنية « كوكب الدجاجة » عند ما يدفع لوهجرين الاوزة . . . وقد استق فاجنر اوبرته من النصوص القديمة التي تحدثنا عن مصير لوهجرين البطل الغامض وحارس « السر الاعظم »

في هذه القصة صراع عنيف بين الحق والباطل وبين القوة والقانون وفيها صراع عنيف ايضاً بين حب الخطيبة وشهوة الزوجة . فيها اتهام يلقى على النفس الشريفة كاقوى ما يكون الاتهام . وفيها من الالم ما يمس صميم النفوس الكبيرة فيكاد يقضي على موضع العزة فيها والشرف . . . فيها صراع قوي بين الزوج والزوجة . . . وما رأيك في زوج نبيل يذهب ضحية زوجة مفتونة بسحرها تتعمل السحر للايذاء والشر فتغير من الصور الانسانية في سبيل شهوتها واثرتها . . . كثير على زوج ان يتحمل الماً وتضحية في سبيل امرأة تسحر من الزوجية في سبيل ثأر تناله ومأرب وضيع تصبو اليه نفسها ولكن هي المرأة وكفى . . .

***

نحن بجوار « أنتورب » حيث يستعرض هنريك فوجلر ملك المانيا جيوشه الجرارة امام سكان مقاطعة «برابانت» ليدرأ اعداءه الغزاة الهنجاريين . فيجد الملك الناس في هرج ومرج فيتفهم هذا فيعلم ان الكونت فريدرك تيرامند يتهم إلزا صاحبة برابانت بقتل اخيها الصغير « جود فري » وارث دوق برابانت الذي توفي قبل امد قصير تاركاً اطفاله لعناية « تيرامند » ولقد كانت إلزا خطيبة تيرامند ولكنهُ تزوج « اورترد » صاحبة فريزلند . وكان يطالب بحقه في وراثة دوقية برابانت

تعلن إلزا برائتها من قتل اخيها لانها لا تعلم عن امره شيئاً . فكل ما تذكره انهُ اختطف اثنا نومها فاذا عرض الامر على الملك اصدر قراراً لحواء ان يترك شأن هذا الحادث للعناية الالهية دون غيرها لتصدر فيه ما تراه . ولكن تيرامند لوتوفه من حقه يرى ان يعلن استعداده لمبارزة من يرى الدفاع عن إلزا . فأما ابطال برابانت وعظماؤها فيرفضون طلبه ولا يقبلون عليه حتى المليك نفسه الذي يعتقد في براءة إلزا . ولكن ابطال برابانت والمليك ايضاً يعتقدون ايضاً أن الحق يبدو في جانب هذا الرجل المعدود في طليعة الابطال

تلتزم إلزا الهدوء وتتضرع الى السماء حتى اذا اقبل الليل واستلقت في مخدعها تخيلت ذلك البطل الالهي المرسل من السماء يحملها رسالة الدفاع والذود عنها . وأما هي فقد تحدث الى نفسها في الصباح عن تلك الرؤيا الجميلة . وتعلن في غير ما تردد أو تهيب بأنه اذا تحقق لها هذا

الحيان فهي لا تتوانى ان تمنحه يدها وأملاكها . فأما هي فتكثر من هذا الحديث وتبتهج لروعة هذا المنظر وان هي الا لحظة حتى ترى فارساً يتمنطق بالدرع ويرتدي لباساً فضفاضاً لامعاً لا تكاد العين تنصرف عن رؤيته لجماله وتأثيره . يركب فارساً مسطحاً لسيره في الماء « اوزة » جميلة اللون شائقة المنظر .. حتى اذا انتهى الى الساحل ودّع الفارس والاوزّة واتجه الى قصر إلزا فتقبل عليه تحييه . . وتعلم فيما بينها وبين نفسها ان هذا هو البطل الذي تخيلته في حلمها . أما هو فيسر اليها انه سيذود عنها ما امكنه الذود . على ان تكون له زوجة وان لا تفكر من اين هبط عليها او ان تفكر في اصله . . تقبل إلزا هذا في غير عسر او مشقة . ويبدأ الصراع بين الفارس وتيلرامند فيفوز الفارس على خصمه فوزاً مبيناً ولا يتمكر في قتل تيلرامند بل يهبه حياته التي في متناول يده والتي كانت ستطوح بآمال زوجته « اورترد »

***

أما « أورترد » فكانت ساحرة وفقت الى ان تخدع زوجها الذي يؤمن الايمان كله بقتل « جود فري » بينما هي اختطفت الطفل ولم يدر بها احد . بل استطاعت ان تهزأ بعقل زوجها بما لم يكن يتوقعه احد

فاذا كان الفصل الثاني فنحن في قصر « ديكال » حيث تعد معدات الزواج الذي اغتبط له قوم واستاء منه آخرون . أما إلزا فسعيدة بهذا الزواج يحدوها فيه الامل ويدفعها اليه الرجاء . وأما « اورترد » فتبرمة به يدفعها الغيظ لتقف في طريقه . وأما زوجها فحانق عليها لانها كانت الباعث في امر هزيمته . وهو هذا العظيم القوي أمام قومه ! يتحدث اليها في شيء من الالم والتأثر وتجيبه في شيء من الهدوء وفي غير مبالاة حتى يتهمها بأنها سبب هزيمته وانها لا تأبه لشرفه المثلوم فتجيبه في شيء من الهدوء وقلة الاكتراث عما تصنع وما حيكها في الخفاء ! يتحرج الموقف بينهما فتسرع الى ابتسامة متكلفة وتعلله بأنها ستعمل على فض الزواج بأية سبيل . . . فتلجأ الى إلزا لتقول لها كيف يتم لها زواجها بشخص لا تعلم شيئاً من امره بل ولا تعلم اسمه . حتى اذا قنعت إلزا بهذا أخفق الزواج وهي كساحرة تعلم العلم كله بأن قوة هذا الفارس ستفنى اذا اصطدم بهذا الحديث الذي تحمله اليه إلزا

تقف إلزا في نافذة قصرها الفخم تستعرض جمال الطبيعة . . وتشكر الله القدير . . . وتنصت فتسمع الى نداء حزين هو نداء منكوب او خائر القوى . . لا يكاد يقوى على الحديث ... إلزا ... إلزا . . . فتجيب بعد ان يخفق قلبها تأثراً وألماً . . وتبحث عن المنادي فاذا به « اورترد » تبكي بين يديها . تستعطف إلزا في شيء من الرفق والاخلاص . هي ترى ان إلزا ستكون ضحية لطيبة قلبها وتسليمها امرها لهذا المستقبل المجهول . . واذن فإلزا متأثرة بهذا الشعور . . وهنا يتناول الشك موضعه في قلب إلزا . . والآن فقد احتشد الناس في الكنيسة في الصباح المبكر ليشهدوا

عرس إزا العظيم وقد اقبلت إزا لتأخذ مكانها بجانب زوجها . . . فتندفع اورتّرد بين الصفوف لتذكر إزا بما سبق ان اسرّت به اليها . ويتسابق تيلرامند الى الفارس الغريب ليتّهمهُ . . . ولا يتظاهر بهذا حتى يندفع الى الوراء بتدفق الجماهير . . . وإزا تصرح « لأورتّرد » بأن رسالتها في النصح جاءت متأخرة . ولكن الشك يزداد والامل في مستقبلها السعيد يصبح ضعيفاً . . هي مستسلمة اذن لحديث « اورتّرد » ولكنها تدفع عن زوجها ما يكاد يلمّ به من امر تيلرامند وتلجأ اليهِ ان يحمي نفسه ويحميها . . . ولكنهُ يصر على ان يتركها وشأنها . . . ويتقدم تيلرامند الى الملك يستعطفه في ان يعلم اسم هذا الغريب ويسأل عن شأنه . . ولكن لوهجرين — الفارس — يرفض ذلك الاّ اذا صدر السؤال من زوجته . . . ولكن إزا تمتنع مع ما بها من شك ان تسأله

*

نحن الآن في الفصل الثالث حيث يقيم الزوجان في قصر إزا . . يرفرف عليهما طائر الفرح . . ولكن قلب إزا لم يزل كما هو . . . فيه شك وفيه ألم . . . بل فيه خوف وفيه اضطراب . . . الم تودع فيه «أورتّرد» هذه العواطف كلها . . . تصرح إزا في غير تردد بأن مصيرها مجهول . والواجب يدعو زوجها ان يخفف من غلوائه فيذكر لها موقفها اذا تركها وذهب الى طريقه بل وعاد الى صحائه . وبينما هما في هذا الحديث يشعر بأن تيلرامند مقبل لقتله غيلةً . فيفات منهُ ويطعنهُ طعنة نجلاء . . تردية قتيلاً . . . وأما هو فيأخذ زوجته الى ساحة المليك ليطلعهُ على حقيقة أمره . . . وعن رسالته . . . . ومن هو . . أما السر فهو اناهُ حارس السر الاعظم وخليفة « پاوسيفال » . والسر الاعظم هو « دم المسيح المحفوظ » الذي يحرسه الفرسان بالوراثة في القصر الاعظم . . على الجبل الاعلى . . . والآن لا يسعهُ اذ قد باح بهذا السر الخطير ان يقيم وزوجتهُ بل يعود من حيث اتى . . وانظر اليهِ فقد تلفت الى امامه فوجد الأوزة قد اقبلت نحوه فيأخذ من عنقها سواراً صغيراً ذهبيًّا يمنحه الى إزا ويعطيها كذلك درعه وسيفه . . لكي تدفع بهما كل عداء وكفاها ما فيهما من سر . . .

يهم الفارس بأن يذهب فيستمع الى اورتّرد بأنها هي التي سحرت الطفل فصنعت منهُ اوزة وانهُ كان في مقدوره ان يعيد الطفل الى كيانه الاول لو لم تسرع إزا بسؤاله عن حقيقة امره . . . يستمع لوهجرين هذا في ألم . فيرفع وجههُ الى السماء ويصلي بقوة طالباً نجدة الطفل . . . ويتقدم اليهِ واضعاً الذهب في عنق الاوزة . . فيختفي الطائر الى حيث الماء لحظة ثم يعود حاذا به « جودفري » نفسه قد رجع . . . واذا وارث عرش برابانت قد اقبل . . . واذا الفارس يذهب الى قاربهِ في الماء وقد أقبلت حمامة من السماء تدفع القارب . . . واذا لوهجرين قد ابتعد عن الشاطئ وغاب عن الانظار . . واما إزا فقد قامت تضم اخاها لها . . . وخرجت اورتّرد حسيرة النفس يائسة »

حليم متري